سميرة رجب في محاضرة «الصراعات والتوازنات في منطقة الخليج» بمجلس الحويحي:

دولنا العربية شهدت اختراقات عديدة عبر التاريــخ أضعفت دورها الحضاري

ضـرورة إيجاد ضغط خليجي لتصعيد قوى شرقيـة تواجه التطرف والأطماع الغربية

دول الشــرق تعلم أننا نذهب لبناء علاقـات معهم ولكن قلوبنا في الغرب

○ سميرة رجب.

تغطية: وليد دياب

تصوير: جوزيف

أكدت الأستاذة الباحثة سميرة رجب أن المنطقة العربية تشهد حالة من الاختراقات الدولية والإقليمية منذ سقوط الاتحاد السوفيتي وتحول النظام الدولي من ثنائي القطبية إلى أحادي القطبية، مضيفة أن النظام الثنائي القطبية كان من أهم مميزاته الحفاظ على التوازن الأمني في العالم.

وأشارت رجب خلال المحاضرة التي ألقتها لدى استضافتها بمجلس المهندس عبدالله الحويحي بمنطقة قلالي مساء أمس الأول، بحضور عدد من السفراء العرب وجمع من النواب والشوريين والمثقفين، والتي حملت عنوان «الصراعات والتوازنات الجديدة في منطقة الخليج العربي»، إلى أن بلادنا العربية شهدت اختراقات عديدة على حدودها وسيادتها على مر التاريخ، وكان للحدود الشرقية دائمًا النصيب الأكبر من هذه الاختراقات؛ ما كان له الأثر الكبير على تعطيل دور الأمة الحضاري الذي وصل في فترات تاريخية إلى حد الانكفاء والتخلف، وخلق مشكلات عديدة ومعقدة كان أخطرها إلغاء السلطة العربية القومية.

○ جانب من محاضرة الأستاذة سميرة رجب بمجلس المهندس عبدالله الحويحي.

لماذا معظم قادة الدين الشيعة يحافظون على مصالح إيران بينما السنة لا ينظرون إلى مصالحهم العربية؟

وتطرقت رجب إلى نجاح القوى الأوروبية في إلغاء أو إضعاف الإرادة القومية العربية، كما قامت القوى الإقليمية المتمثلة في العثمانيين والصفويين، بجد واجتهاد، على إلغاء السيادة العربية، في حروب مؤطرة بالدين، والمذهب، لإخفاء مصالح مادية، متعددة الأطراف، دون أن تخلو جميعها من التحريض الأوروبي.

وعرجت سميرة رجب في محاضرتها إلى صراع التوازنات الجديدة وعلاقة إيران بالغرب ومدى خطورة تلك العلاقة على منطقتنا العربية، كما تحدثت عن طبيعة التحالفات الحالية وطبيعة التحالف العربي مع دول الشرق أو دول الغرب وأيهما أفضل.

وأكدت أن قوى الشرق ليس لديهم أي أهداف توسعية استعمارية، بل لديهم مصالح يريدون الحفاظ عليها في المنطقة ويؤمنون بالسلم والبناء وليس بالدمار والحروب، مطالبة بضرورة إيجاد ضغط خليجي من أجل صعود قوى الشرق مواجهة للتطرف والأطماع الغربية، والدخول في تحالفات حقيقية وليست شكلية معهم ، قائلة إن الشرق يعلم أننا نذهب لبناء علاقات معهم ولكن قلوبنا في الغرب، وهذا أمر لا يبني علاقات قوية وجيدة.

وفيما يلي نص المحاضرة:

«تعيش المنطقة العربية عمومًا حالة من الاختراقات الدولية والإقليمية منذ سقوط النظام الدولي القديم، الثنائي القطبية، الذي كان أهم مميزاته هو الحفاظ على التوازن الأمني في العالم نتيجة التنافس بين القوتين العظميين».

وفي حالة التحول، من نظام دولي إلى آخر، كالتي يعيشها العالم والمنطقة اليوم، ومنذ سقوط الاتحاد السوفييتي، تجد الدول الإقليمية، الشرق أوسطية، غير العربية، فرصتها التاريخية في الصراعات والتوازنات الاستراتيجية الجديدة، لاختراق المنطقة والتوسع في الأرض العربية؛ أملاً في الحصول على دور إقليمي رائد، يضمن لها وجودا قويا على الساحة الدولية... وهذه القوى الإقليمية وجدت اليوم ضالتها في الأجندات الدولية الكبرى التي تخطط لتغيير المنطقة بما يتناسب مع مصالحها الاستراتيجية ضمن نظام دولي جديد، فصارت هذه الأجندات أكثر وبالا ودمارًا على المنطقة.

رؤية تاريخية في اختراق توازنات المنطقة

تثبت أحداث المنطقة كل يوم أن التاريخ يلقي بظلاله على الحاضر، وأن القوى الخارجية بأنواعها درست تاريخنا قبل وضع أجنداتها لاكتشاف سبل كسر توازنات المنطقة وإضعافها واختراقها استراتيجيًا.. وهذا الاختراق كان ولا يزال هو محور اهتمام كل الغزاة... بينما يتجاهل العرب قراءة التاريخ الذي يمكن أن يعطيهم الدروس والعبر لصناعة القرار، أو لرسم خارطة طريق النجاة.. لذلك يعد الاطلاع على التاريخ أحد أهم أدوات القراءة السياسية والتخطيط واستشراف المستقبل لفهم الأدوار المرسومة للقوى المتفاعلة في مشاريع التغيير الجيوسياسي الجارية في بلادنا عمومًا.

عبر هذا التاريخ الطويل شهدت بلادنا العربية اختراقات عديدة على حدودها وسيادتها، لا تختلف كثيرًا عن أحداث اليوم؛ وقد كان للحدود الشرقية دائمًا النصيب الأكبر من هذه الاختراقات؛ ما كان له الأثر الكبير على تعطيل دور الأمة الحضاري الذي وصل في فترات تاريخية إلى حد الانكفاء والتخلف، وخلق مشكلات عديدة ومعقدة كان أخطرها إلغاء السلطة العربية القومية، الذي كان ولا يزال، أول ما تبدأ به القوى المحتلة والمستعمِرة للتصرف في مصير المنطقة ومستقبلها.

وعلى مدار الحقب التاريخية الطويلة، بين فترات المد والازدهار، والانكفاء والتخلف، كان للقوى الخارجية دور في تقرير وتحديد مصير المنطقة العربية، لعبته من خلال القوى الإقليمية المتصارعة على أرضنا، وعبر الاتفاقيات والمعاهدات التي تم سنها للتحكيم في النزاعات وليس لحلها، دون الاهتمام بحق الشعوب العربية في تقرير مصيرها... فلعبة المعاهدات والاتفاقيات قديمة، ولم تكن اتفاقية سايكس بيكو أولها ولا يبدو أنها ستكون الأخيرة.

بدأت انهيارات المنطقة العربية مع الحروب الصليبية مدة مائتي عام (١٠٩٦-١٢٩١م)، ثم سقوط بغداد أمام جحافل المغول سنة ١٢٥٨م... وتتالت الانهيارات في فترات الصراعات الصفوية العثمانية (١٥٠٢-١٧٣٦م)، التي تمثلت في حروب متواصلة كانت أرض العراق ساحتها، والقوى الدولية والإقليمية حَكَمًا وفيصلا في معاهدات هدناتها وتوزيع غنائمها.

وبموازاة تلك الحروب، على أرض العراق، كانت منطقة الخليج العربي تشهد غزوات القوى الاستعمارية بالتحالف مع الفرس، منها الغزو الهولندي (١٦١٧م)، ثم البرتغالي، حتى الاستعمار البريطاني-الأوروبي الذي ثبّتت ركائزه في المنطقة مع الحرب العالمية الأولى (١٩١٧م).

نجحت القوى الأوروبية على مدار تلك القرون، في تغيير الحدود العربية، فاقتطعت مساحات من أرض العراق لصالح إيران، وتم إهداؤها عربستان، وأهديت مدن سورية إلى تركيا، تنفيذا للاتفاقيات والمعاهدات التي وافقت عليها الدولتان الإقليميتان، ونقضتاها، الواحدة تلو الأخرى، ما بين فترات الهدنة والحروب المتتالية التي دارت بينهما.

وبعد طول فترات الحروب والإنهاك الذي أصاب الأمة، جاءت اتفاقية سايكس بيكو مع بداية القرن العشرين لترسم حدودا في داخل الأرض العربية، فجُزئت المنطقة العربية إلى دول ذات مصالح متضاربة، بعد أن كانت كتلة سياسية ومساحة جغرافية واحدة.

نجحت القوى الأوروبية في إلغاء أو إضعاف الإرادة القومية العربية، وفي تغيير معالم الأمة الحضارية، وتثبيت قواعد جديدة للمنطقة اعتمادًا على مبدأ تقادم الزمن، وسياسات التهجير الداخلي، وتشجيع الهجرة من وإلى المنطقة، وخلق مشاكل مناطقية وقبائلية وعشائرية ودينية ومذهبية، وتحريض الأطراف الإقليمية لخلق مزيد من الصراعات... وهنا يجب أن يُذكر دور المستشرقين الذين درسوا المنطقة ومجتمعاتها لبناء منظومة استراتيجيات الصراع داخلها.

نجحت القوى الأوروبية، من البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والإنجليز، إلى القوة الأمريكية الباطشة، بالتعاون مع الفرس، على تنفيذ أدوار متعددة في سياسات التجزئة وتزييف التاريخ، وخلق الصراعات الداخلية التي تغنيهم عن التدخل بجيوشهم... واستثمر الإنجليز تراكمات التنوع العِرقي والديني، في تفريق شعوب المنطقة وتكوين ولاءات جديدة تخدم المصالح الاستعمارية.

القوى الإقليمية والتحريض الغربي

أما القوى الإقليمية المتمثلة في العثمانيين والصفويين، فقد عملت باستمرار، وبجد واجتهاد، على إلغاء السيادة العربية، في حروب مؤطرة بالدين، والمذهب، لإخفاء مصالح مادية، متعددة الأطراف، دون أن تخلو جميعها من التحريض الأوروبي، فنجحت مخططات تغيير ثوابت المنطقة السكانية والحضارية، والقانونية، واستبدالها بثوابت مصطنعة عبر حزمة من المعاهدات والاتفاقيات.

كان حينها التحريض والتحكيم في جميع النزاعات الإقليمية روسيًا إنجليزيًا، حين كانتا قوتين متحالفتين ومترابطتين، وتمثلان القوة الدولية الأولى؛ فاعتمدتا منذ البداية على تكريس الصراعات الدينية في مناطق النفوذ العثماني، وكان لتلك الصراعات دور رئيسي في توريث العراق، ودول الخليج العربي، إرثًا طائفيًا، يغلب على الولاء الوطني والقومي، تمكن الفرس من استغلاله منذ الفترة الصفوية في الحصول على امتيازات استراتيجية لبلادهم. وانتهجوا في ذلك سياسة التقدم البطيء، عسكريًا وديموغرافيا، وجغرافيًا... ولم تتوقف هذه السياسات الإيرانية حتى يومنا هذا.

الحروب والاتفاقيات

في دراسة تاريخية حول «الحدود الشرقية للوطن العربي»، استند عدد من المؤرخين العراقيين على الوثائق البريطانية والإقليمية، لتوثيق تفاصيل الأحداث التاريخية التي عصفت بحدودنا على مدار القرون الخمسة، منذ قيام الدولة الصفوية، إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، ودور إيران في نهب الأراضي العربية من خلال صراعاتها مع العثمانيين، وتحالفاتها مع الأوروبيين.

في كل تلك الصراعات كانت الإمبراطورية الروسية وإنجلترا، الحكمين الدوليين الذين أسسا نصوص وبنود اتفاقيات الصلح الإقليمية، مع الحرص على مصالح إيران، لإضعاف العثمانيين الذين كانوا يزحفون على أوروبا حينها محتلين دولة بعد أخرى... وفي فترات أخرى، ولأجل مطامع توسعية معينة، عملت هذه القوى على إبقاء الدولتين ضعيفة ومضطربة عبر تشجيع الحركات والاضطرابات الداخلية المضادة... وفي كل تلك الصراعات والاتفاقيات كان الخاسر الأول والأخير هم العرب.

في سنة ١٥٠٨م، احتل الصفويون العراق وتم تحريره سنة ١٥٣٤م، ولم تتوقف الحروب، إلا بـ«معاهدة أماسية» سنة ١٥٥٥م، ولكنها لم تنهي أسباب الصراع.

تجددت الحروب والمعاهدات في السنوات ١٥٩٠. و١٦١١. و١٦١٣. و١٦١٨. وتم نقضها جميعًا.

سنة ١٦٢٣م احتل الصفويون بغداد مرة ثانية، وفتكوا بالعراقيين، وانتهت تلك الحرب بـ«معاهدة زهاب» سنة ١٦٣٩م، التي شكلت نصوصها أساسًا للمعاهدات التالية، ولصالح إيران، لأنها عينت الحدود على قاعدة مناطق حدود وليس على أساس خط الحدود، ولم تحسم الصراع.

حاول الفرس غزو العراق سنة ١٧٣٢. وتكررت المحاولة سنة ١٧٣٣. ثم سنة ١٧٣٥. و١٧٤٣. و١٧٧٥. و١٧٧٧. و١٧٧٨؛ وفشلت.

استمرت الصراعات، وجاءت في سنة ١٨٢٣م اتفاقية أرضروم الأولى التي أخذت من اتفاقيات سابقة أساسًا في رسم الحدود، واستمرت الحروب.

ثم جاءت معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٥٧م، التي رسمت الحدود بين الدولتين، ووافقتا عليها، ونقضت إيران الاتفاقية لتستمر الحروب عبر أذرع كردية وغيرها.

نقضت إيران كل هذه الاتفاقيات، حيث كانت ولا تزال معروفة بالانتهازية وعدم احترام المواثيق والأعراف الدولية، بالاحتيال والمناورة.

إذن تعددت أطراف وأسباب الصراع حول منطقتنا العربية منذ قرون، وتقاطعت مصالح هذه الأطراف، والتقت، في صراعات امتدت طويلاً، وصولاً إلى القرن العشرين الذي تعددت فيه الأطراف، واستُحدثت أدوار جديدة، وتفاعلت بشكل وبآخر حتى يومنا هذا.

ويطول الحديث في تفاصيل هذا الأمر الذي يجب أن يكون مادة دراسية لفهم أسباب وأشكال عدم الاستقرار الدائم الذي نعيشه مع جوارنا الجغرافي الإقليمي، عبر التاريخ.

دور دول الجوار في المنطقة

تؤكد الدراسات التاريخية والسياسية للمؤرخين العراقيين في المرجع المذكور، أن إيران استفادت على مدار التاريخ من حزمة اتفاقيات ومعاهدات الصلح بعد حروبها المتواصلة وزحفها على المنطقة العربية في ثلاثة مسارات، الأول: هو الامتداد في عمق الأراضي العراقية لإلغاء السيادة العربية القومية وإضعاف الأمة؛ الثاني: هو الاستيلاء على عربستان ذات الثروة النفطية والموقع الجيو-ستراتيجي المهم على الخليج؛ الثالث: هو اختراق الخليج العربي (الجزر العربية الثلاث، ومحاولات اختراق البحرين) في خطوات متتابعة لمزيد من التوسع في العمق العربي.

عملت إيران في هذه الاتجاهات بكل قوتها خلال قرون الصراع الممتدة من الفترة الصفوية والأفشارية والقاجارية والبهلوية إلى نظام الملالي الحالي، من خلال دعم أوروبي لجهودها وطموحها، في علاقات معلنة وغير معلنة.

اعتمد الأوروبيون بداية على الصفويين في إضعاف العثمانيين، ثم بالتهديد القومي والمد الديني والطائفي داخل الحدود العربية المجاورة، ما جعل المنطقة باستمرار أمام خطر يتطلب الاستنجاد بالخارج... فتعددت أسباب وأشكال وأهداف التقارب الغربي الإيراني، التي تم استثماره في إسقاط الاتحاد السوفيتي، وترهيب الخليج العربي بالخطر الفارسي المتربص، وصولا إلى التحالف الإيراني الأمريكي في العراق... والدور التاريخي للعلاقات الإيرانية الإسرائيلية، الذي لم تتغير من نظام الشاه إلى نظام الملالي.

رفع نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، شعار «أمريكا الشيطان الأكبر»، ولكن بدأ حربه على العراق منذ البداية، ليعلن بعد ذلك أنه مستعد للتحالف مع الشيطان من أجل الانتصار على العرب، فبدأ تحالفاته الشيطانية مع أمريكا لمد الجبهة الإيرانية بالسلاح الأمريكي في حرب الثماني سنوات ضد العراق، في جسر جوي عبر الكيان الإسرائيلي، كأحد الشواهد الخطيرة على استمرار العلاقات التي بدأها شاه إيران مع هذا الكيان، وهي الفضيحة التي أطلق عليها «إيران جيت»، و«إيران-كونترا».

وهنا يطول الحديث عن العلاقات التاريخية التي شكلت، ومازالت تشكل، رابطة العروة الوثقى بين إيران والصهيونية والشيطان الأكبر، والذي من المهم دراسة تاريخه لفهم الجانب المبهم والمهم في العلاقات بين إيران وإسرائيل والغرب، ولاستيعاب نمط العلاقات الممتدة منذ عهد الإمبراطور الفارسي قورش والسبي البابلي، والتي لا يفرط فيها أحد الأطراف الثلاثة؛ وعلاقة ذلك في لعبة الإرهاب، ومشروع التغيير الجيوسياسي الأمريكي للشرق الأوسط، في ظل الضعف والانكسار العربي.

وبعد فهم ذلك التاريخ الطويل وظروفه المتراكمة، نضع التساؤلات التالية:

يا تُرى هل يمكن أن يثق العرب بوجود عداء أوروبي أمريكي إسرائيلي ضد إيران؟

وهل فعلا يعتقد العرب أن الغرب، بطموحاته الاستعمارية المعلنة، سيفرط في خادمه وعضيده الإيراني الباطني التاريخي، الذي يعمل بكل خبث على حماية مصالحه في المنطقة؟؛ والذي يعتمد عليه اليوم في مختلف أنواع الإرهاب، والصراع المذهبي والعرقي الذي انتشر في المنطقة، كالنار في الهشيم، منذ وصول الخميني إلى سدة الحكم، لتتحول الطائفية فيما بعد إلى أهم أركان مشروع التغيير الجيوسياسي للشرق الأوسط الجديد؟

وهل سيفرط الأمريكان في إيران التي تحمي مصالحهم في نفط وثروات العراق بعد أن سلّموها عاصمة الرشيد، على طبق من ذهب؟

وهل سيفرط الكيان الإسرائيلي في حزب الله، الذراع الإيراني الأخطر في المنطقة، الذي يحمي أمن حدود إسرائيل الشمالية؟

هل يؤمن العرب حقيقة، بالدور الرئيسي لحزب الله، في حماية حدود إسرائيل الشمالية من جنوب لبنان؟، هذا الدور الذي يحكم مواقف الغرب من هذا الحزب، الذي مازال مستمرًا في النمو والتوسع